



تشغل العلاقة بين موسكو وطهران حيزاً كبيراً من اهتمام السوريين بشأنهم الوطني والثوري. في الوعي السوري العام، يعتبر وجود طهران العسكري في سوريا ضرورياً لموسكو التي تمتلك قوة جوية وبحرية فاعلة، لكنها تفتقر إلى قوات برية ضاربة، تمكّنها من تحقيق الانتصار بقدارتها الذاتية، من دون شراكة مع أو مساندة من أحد.

تحتاج موسكو إلى عون إيران، ما دامت نار الحرب تلتهم سوريا، وموسكو عازفة عن إرسال جيشه البري إليها، تحسباً لفتح قد تقع فيه، بعد فخ أفغانستان الذي لعب دوراً كبيراً في إزالة هزيمة مهينة بها، أسهمت في إسقاط النظام السوفييتي. ومع أن موسكو أرسلت بعض عسكرها، ومرتزقة ينتمون إلى وحداتٍ تشبه مرتزقة "بلاك ووتر" في العراق، فإنها تخوف من توسيع انخراطها البري في القتال، وما سيعقبه من سقوط قتلى من جندها الذين فقدت بالفعل أعداداً مقلقة منهم خلال العام الماضي. في بحثها عن بديل، وجدت موسكو من مصلحتها التعاون مع إيران، ضمن حساباتٍ تمكّنها من التحكّم برهانات المالي، المغایرة لأهدافها، وبرزت خلافاتها معها في موضع كثيرة، مثلما حدث حين نفذ الحرس الثوري، ومرتزقته **البنانيون** وال العراقيون والأفغان، هجوماً عارضته روسيا في سوق وادي بردى، خاصه حزب الله وشبيحة الأسد، بحجة الحرب ضد **جبهة النصرة**، واستمرروا فيه إلى أن احتلوا منابعه التي تزود دمشق بمياه الشرب، على الرغم من بيان عسكري روسي نفي وجود "النصرة" في منطقة، وطالب بوقف الهجوم عليه.

تحتاج روسيا إلى قوات إيران البرية لكسب الحرب، فهل ستحتاج إليها بالقدر نفسه، لإنجاح حل دولي يعيد السلام إلى الربع السوري؟ من المعروف أن مواقف الدولتين السورية تتبادر في ما يتعلق بأغراضهما، وبالملالات التي يراد للوضع السوري أن

بلغها، بما في ذلك مصير الأسد ونظامه ووظيفتها المستقبلية. ترفض إيران حل الصراع السياسي، بينما تقول روسيا الإشراف عليه، وتبذل جهوداً مضنية لتمريره. وتعمل طهران لحل محض عسكري، يدمر أية مقاومة يواجهها نظام الأسد الذي تعتبره جزءاً من كيانها السياسي. وعلى الرغم من أنها حضرت لقائي فيينا الدوليين حول السلام، فإنها تمسكت برفض وثيقة جنيف 1 وقرار مجلس الأمن 2118، وخرقها طريق الحل السياسي الدولي التي رسمها من أجل وضع حد للحرب، وإقامة نظام تسويات دولية وإقليمية لا يمكن طهران من الانفصال عنها من جهة، ويلبي بالأحرى مصالح القوتين العظميين وأهدافهما في سوريا والإقليم من جهة أخرى. تعارض إيران الحل السياسي، لأنها ستكون بعده مجرد طرفٍ فقد تحكمه بالصراع، وغداً جهةً يحدد الجباران علاقتها بسوريا، حسب تفاهماً، وبما يتفق مع خططهما التي تقول إشاراتها أن واشنطن قد تستهدف إيران، حتى قبل تسويتها الموضوع السوري.

ليس السلام والحل الدولي مصلحة إيرانية، ويرجح أن يفرض عليها مواجهة مع الدولتين الكبيرتين تتحدى قدراتها، وأن يرغمها على قبول الدور الذي سيقرّرها له، ليخدم مصالحهما، من دون أن يستجيب، في الوقت نفسه، لما أرادت بلوغه عبر انخراطها في الصراع السوري. بكلام آخر: مع السلام، لن تبقى روسيا بحاجة إلى دعم قوات طهران البرية، ولن تسمح لها وبالتالي بمواصلة دورها السوري الراهن الذي يتعارض مع خطتها لإقامة نظام أمن إقليمي، انطلاقاً من موقع سوريا لا يشاركها فيه أحد، تستعيد بواسطته ما كان للاتحاد السوفييتي من نفوذ وحضور في المنطقة العربية بالأمس، حسب تصريحات الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين.

ستتحرّر روسيا قريباً من حاجتها إلى مرتبة إيران، فإن سعت إلى السلام بتفويض أميركي، كما هو مقرر دولياً، كان عليها القيام بتدابير جدية لإضعاف الوجود الإيراني في سوريا، لكيح منافسته لها على الموقع السوري، مع ما سيتّوجه ذلك من تناقض وتباعد في مواقف وأهداف بلدين يستخدم الإيراني منهما جيشه ومرتزقته لإثارة مشكلاتٍ من شأنها إحباط أو عرقلة حل سياسي تربط روسيا استراتيجيتها ومصالحها الدولية بمناجاه.

هل يمكن للتبدل المرتقب في علاقات الدولتين أن يكون فرصة تستغلها لتحسين أوضاعنا نحن السوريين، ولتوسيع هوامش مناورتنا تجاه إيران والنظام الأسد؟ وهل يتيح لنا مداخل إلى تفاهم مع روسيا ضد بقاء الحرس الثوري ومرتزقته في وطننا، يعيد بعض التوازن إلى سياستها في بلادنا، بحيث تأخذ بالاعتبار رفض شعبنا الأسد ونظامه، ول موقفها من حقوقه التي لن يتحقق سلام من دون تلبيتها.

المصادر:

العربي الجديد